جامعة الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):٣٦١٢-١٠١٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٨٣٣٩-١٦٥٨

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3612
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة الآداب، مج (٣٧)، ع (١)، ص ص ٣-٢١، جامعة الملك سعود، الرياض (٢٠٢٤م/ ١٤٤٦هـ)
Journal of Arts, Vol. 37 (1), pp 3-21, © King Saud University, Riyadh (2024 /1446H.)

بيتُ المَرَّار بن مُنقذ العَدَويّ (... - ١٠٠ هـ)
هَلْ عَرَفتَ الدَّارَ أمْ أنكرتَها بينَ تِبْرَاكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرّ
دراسة في إشكالات الشَّرح والرِّواية

خالد بن عايش الحافي

أستاذ الأدب والنقد الحديث المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الملك سعود، السعودية.

(قدم للنشر في ١٥/ ٢/ ١٤٤٦هـ، وقبل للنشر في ١٤/ ٤/ ١٤٤٦هـ)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-1-1

الكلمات المفتاحية: الـمَرَّار بن مُنقذ، شَسَّيْ، عَبَقُرّ، أُشَيّ، بَقَر.

ملخص البحث: يتناول هذا البحث بيتًا من الشعر العربي القديم، من قصيدة رائية للشاعر الـمَرَّار بن مُنْقِذ العَدَويّ التميمي، وهي قصيدة مُفضَّلية مطوَّلة تقع في خمسة وتسعين بيتًا، رواها أبو العبّاس المفضّل بن محمد الضَّبي ضمن اختياره نخبة من القصائد التي أُطلق عليها المفضّليات، وقد نالت اختياراته هذه شهرة واسعة بين رواة الشعر ونقاده، وهذا البيت الذي نحن بصدد الحديث عنه تداولته بكثرة معاجم اللغة العربية ومعاجم البلدان قديمًا وحديثًا، وبعض شرَّاح الشعر شاهدًا شعريًا على مواضع في نجد من جزيرة العرب. ولم يكن الإشكال في تداولهم إياه، وإنما الإشكال -فيما يظهر- في صِيَغ المواضع التي جاءت بها رواياته، ثم سيق البيت شاهدًا عليها، وقد كان التصحيف أو التحريف أو الخطأ في الرواية أو عدم معرفة أولئك الذين تداولوا هذا البيت ببيئة الشاعر ومكانه الذي يعيش فيه؛ أو هذا كله مجتمعًا كان حائلًا دون مراد الشاعر من تلك المواقع التي وردتْ في بيته.

The Poetic Verse by al-Marrār ibn Munqith al-ʿAdawī (…-100 AH), Did you recognize the home, or did you fail to recognize it ** Between Tibrak, Shassay, and ʿAbaqurr
A Study in the Challenges of Interpretation and Narration

Khalid Ayish Al-Hafi

Associate Professor of Modern Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, College of Humanities and Social Sciences, King Saud University, Saudi Arabia.

(Received: 15/ 2/1446 H, Accepted for publication 14/ 4/1446 H)

https:/doi.org/10.33948/ARTS-KSU-37-1-1

Keywords: Al-Marrār ibn Munqith, Shassay, ʿAbaqurr, ʾUshayy, Baqar.

Abstract. This paper deals with a verse of a classical Arabic poem, rhymed in -r, by the poet al-Marrār ibn Munqith al-ʿAdawī al-Tamīmī. This poem is lengthy, consisting of ninety-five verses, and narrated by Abū al-ʿAbbās al-Mufaḍḍal al-Dabbī in his selection of poems, known as al-Mufaḍḍaliyyat. Al-Mufaḍḍal al-Dabbī's selection of poems achieved extended fame among the poetry narrators and critics. The verse, being studied in this paper, was extensively mentioned in Arabic language dictionaries as well as dictionaries of countries, both pre-modern and modern. It is also used as poetic evidence by the commentators of poetry for some sites in Najd in the Arabian Peninsula. The challenge is not in the spreading of this verse, but, as we think, in the way the names of these sites were drafted, as mentioned in its various narrations, and how this verse was used as evidence. It is possible that the misplacement of diacritical marks, alteration, an error in the narration, lack of knowledge of the milieu and place in which the poet lived by those who narrate it, or all of these factors combined was a reason for not knowing the correct sites as the poet intended in his verse.

يهدف هذا البحث إلى بيان إشكالات الشرح والرواية في بيت من الشعر العربي القديم، من قصيدة رائية للشاعر الـمَرَّار بن مُنْقِذ العَدَويّ التميمي، وهي قصيدة مُفضَّلية مطوَّلة تقع في خمسة وتسعين بيتًا، رواها أبو العبّاس المفضّل بن محمد الضَّبي ضمن اختياره نخبة من القصائد التي أُطلق عليها المفضّليات، وقد دعاني إلى دراسة هذا البيت كثرة تداوله في معاجم اللغة العربية ومعاجم البلدان قديمًا وحديثًا، وبعض شروح الشعر، ولا سيما أنه لشاعر من الشعراء الذين يحتج بشعرهم علماء اللغة وأدباؤها، فقد اتخذوا هذا البيت شاهدًا شعريًا على مواضع في نجد من جزيرة العرب. ولم يكن الإشكال في كثرة تداولهم إياه، وإنما الإشكال -فيما يبدو- في صِيَغِ أسماء المواضع التي سيق هذا البيت شاهدًا عليها، وقد كان التصحيف أو التحريف أو الخطأ في الرواية أو عدم معرفة أولئك الذين تداولوا هذا البيت ببيئة الشاعر ومكانه الذي يعيش فيه؛ أو هذا كله مجتمعًا كان حائلًا دون مراد الشاعر من تلك المواقع التي وردتْ في بيته.

وسيستقرئ البحثُ هذا البيت في معاجم اللغة، وكتب البلدانيين من القدماء والمحدثين؛ نظرًا لكثرة وروده فيها، ثم في مصادر الشعر وشروحه، وسيورد -تباعًا- أقوال أصحاب معاجم اللغة وأصحاب معاجم البلدان، وشراح الشعر في البيت ، ثم التعليق على تلك الأقوال وفق المنهج الاستقرائي التحليلي موضحًا وجهة النظر التي أرجّح أنها الصواب في رواية بيت المرَّار بن مُنقذ، وبيان حقيقة مراده منه، وسأعطي القارئ -قبل الشروع في الموضوع- نبذة يسيرة عن الشاعر المرَّار بن منقذ العَدَويّ موضِّحًا فيها عصره وموطنه، وما جمعه الدارسون من شعره، وما المواقع الواردة فيه، بل أكثرها ورودًا في أشعاره؛ لما لذلك كله من أهمية في الكشف عن موطن اللبس الذي أشكل على من تناولوا ذلك الشاهد الشعري من قصيدة المرَّار الرائية، مكتفيًا في كثير من ذلك بالإحالة -خشية الإطالة- على ما ورد عنه في المصادر والمراجع التي تناولته بما يغني عن إعادته.

اسم الشاعر وعصره وموطنه:

اختلفت المصادر الأدبية في اسم صاحب هذا البيت الشعري محل البحث، فبعضها يذكر أن اسمه المرَّار بن منقذ العَدَوِيّ، وفي بعضها اسمه زياد بن منقذ، وفي أخرى زياد بن حَمَل، وأن المرّار أخوه، أو لقبٌ له، وتنعته المصادر مرة بالعَدَويّ أو بَلْعَدوي ومرة أخرى بالحنظلي؛ ولا إشكال في ذلك فهو عدوي حنظلي تميمي(١)، كما لم تشر المصادر إلى تاريخ مولده أو وفاته، غير أن خير الدين الزركلي في (الأعلام) ذكر أنه توفي نحو ١٠٠هـ(٢)، وقد أجمعت المصادر والمراجع على أنه عاش في أواخر القرن الأول وربما مطلع القرن الثاني الهجريين، فهو شاعر أموي معاصر لجرير والفرزدق وقد هاج الهجاء بينه وبين جرير؛ إذ يقال إنه سعى بجرير عند سليمان بن عبد الملك ونبَّهه إلى قوله للوليد يشير عليه بخلع سليمان واستخلاف ابنه عبد العزيز فقال فيه جرير(٣):

وما أنتَ يا مرّارُ يا زَبَدَ استِها بأوَّلِ مَنْ يَشْقَى بنا ويحينُ

(١) انظر: ترجمته ومصادرها وما قيل حول اسمه ومولده ووفاته في المراجع الآتية:علي حسن رشدي " *شعر المرار بن منقذ العدوي*"، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية،١١عدد.١،٢(١٩٨٩)،٢٩. وغادة جميل قرني محمد يوسف " *مقاومة الزمن في رائية المرار بن منقذ العدوي*"، مجلة كلية الآداب بقنا-جامعة جنوب الوادي،عدد.٥٧(٢٠٢٢)،٤٠٠.

(٢)خير الدين الزركلي، *الأعلام*، الطبعة الثانية عشرة،٨ أجزاء،(بيروت: دار العلم للملايين،١٩٩٧) ،٣:٥٥.

()٣ أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، *الشعر والشعراء*، تح. أحمد محمد شاكر، جزآن،(القاهرة: دار الحديث،٢٠٠٢)، ٢:٦٧٨.

وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني أن سبب هجاء جريرٍ إياه أن المرّار العَدَوِيّ أعان الفرزدق على جرير[٤].

أما عن موطن المَرَّار بن منقذ؛ فقد جاء في بعض المصادر التي ذكرته ما يدل على أنه من أهل نجد؛ فجاء في شرح ديوان الحماسة للتبريزي في أثناء حديثه عن المَرَّار بن منقذ -وقد سمّاه زيادًا بن حَمَل- قوله: "كان قد نزل صنعاء فاستوبأها وكان منزله بِنَجْدٍ فِي وَادي أُشَيّ"[٥] ثم أردف قائلًا: "ووادي أُشَيّ مَوضع بالوشم، والوشم وادٍ بالْيَمامة فيه نخل"[٦]، فيظهر من هذا النص أن موطن المَرَّار بن منقذ هو وادي أُشَيّ بنجد، وقد نصَّ التبريزي على أنه موضعٌ بالوشم، وأنّ الوشم وادٍ باليمامة، والصواب أنّ وادي أُشَيٍّ -وإن كان في اليمامة من نجدٍ- ليس في الوشم، وقد صوّب ابن بليهد هذا الوهم في كتابه(صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار) استدراكًا على ياقوت، ظنًّا من ابن بليهد أن هذا القول لياقوت، ويظهر أن ياقوتًا نقله عن التبريزي على طريقة أكثر العلماء القدامى في عدم العزو إلى من نقلوا عنه ممن سبقهم، يقول ابن بليهد: "أُشَيّ وادٍ من أودية اليمامة به نخل وزروع وسكّان، وليس كما ذكر ياقوت أنه موضع بالوشم، بل بينه وبين الوشم الكثيب الأحمر، والحمادة، وجبل اليمامة، وهو في وادي المشقر الذي يتجه سيله من الغرب إلى جهة الشرق وهو غربي بلد المجمعة"[٧]، وما قال ابن بليهد هو عين الصواب لمن يعرف تلك المنطقة، كما أن الوشم ليس بوادٍ، بل هو مجموعة بلدان في اليمامة من نجد، متقاربٌ بعضها من بعض، وهو باقٍ باسمه من العهد القديم إلى هذا اليوم، أشهر مدنه وقراه وأكبرها اليوم شقراء[٨]، ومراة وثرمداء وأثيثية وأشيقر والقصب والقرائن والداهنة والصوح والمشاش والحريّق والجريفة، وأكثر مدن الوشم وقراه باقية باسمها من العهد الجاهلي إلى اليوم[٩]، وقد ورد ذكر شقراء والوشم وخلّ النَّقا والثنايا في ميمية المَرَّار بن منقذ التي أوردها أبو تمام في حماسته؛ إذ يقول المَرَّار[١٠]:

متى أَمُرُّ على الشَّقراءِ مُعتسِفًا خَلَ النَّقا بمرُوحٍ لحمُها زِيَمُ
الوشمُ قد خرجتْ منه وقابلَها من الثَّنايا التي لم أقْلِها تَرَمُ

وقد أورد المرزوقي في شرحه للحماسة أن الأصمعي يقول: "إن المراد بالشَّقراء في بيت المرّار فرسه"[١١]، والصواب أنها البلدة المعروفة في نجد، ومن الطبيعي أن يهم الأصمعي أو المرزوقي وغيرهم من العلماء في أسماء المواقع التي لا يعرفونها أو تكون بعيدة عن بلادهم.

كما جاء في خزانة الأدب للبغدادي عند حديثه عن المَرَّار بن مُنقذ: "وَكَانَ قد أَتَى الْيمن فَنزع إِلَى وَطنه بِبَطن الرُّمَة. قَال أَبو الْعَلَاء: الرّمة: وادٍ بِنَجْد يُقَال بتَشْديد الْمِيم وتخفيفها. ا ه."[١٢]. فهذا النص أيضًا يشير إشارة واضحة إلى أن نجدًا هي موطن المَرَّار، بل يحدد هذا النص أن موطنه من نجد بطن

(٤)أبوالفرج علي بن الحسين الأصفهاني، *كتاب الأغاني*،تح. إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، الطبعة الثالثة، ٢٥ جزءًا،(بيروت: دار صادر٢٠٠٨)،٨:٢٧٦.

(٥)أبو زكريا الخطيب يحيى بن علي التبريزي، *شرح ديوان الحماسة*، تح. غريد الشيخ، جزآن،(بيروت: دار الكتب العلمية٢٠٠٠)،٢: ١٥١.

(٦) التبريزي، *شرح ديوان الحماسة*،٢:١٥٢.

(٧) محمد بن عبد الله بن بليهد، *صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار*، الطبعة الثالثة، ٥ أجزاء،(الرياض: دار عبد العزيز بن محمد آل حسين١٩٩٧)،١:٢٠٧.

(٨) وهي البلدة التي ولد ونشأ بها كاتب هذا البحث.

(٩)ابن بليهد، *صحيح الأخبار*،١:٢٠٧.

(١٠) أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، *الحماسة*، تح.عبد الله عسيلان الطبعة الأولى، جزآن(الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٩٨١)، ٢:١٣٤.

(١١)أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، *شرح ديوان الحماسة*،تح.غريد الشيخ،الطبعة الأولى،(بيروت: دار الكتب العلمية٢٠٠٣)،٣٩٠.

(١٢)عبد القادر بن عمر البغدادي،*خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*،تح.٥عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة،١١جزءًا،(القاهرة: مكتبة الخانجي١٩٩٧)،٥:٥٥.

وادي الرّمة؛ ووادي الرّمة - كما هو معروف عند أكثر البلدانيين- من أشهر أودية نجد إن لم يكن أشهرها على الإطلاق، وهو باقٍ باسمه إلى هذا اليوم، ويقع منها في بلاد القصيم[١٣]، ولكن ليس هو بالتحديد الموطن الأصلي للمرَّار بن مُنقذ في نجد، وإنَّما موطنه في نجد هو وادي أُشَيّ؛إذ قد صرّح الشاعر نفسه بهذا في بعض أشعاره التي وردتْ منجّمة في المصادر الأدبية واللغوية والجغرافية، إذ لم يجمع شعره ديوان، وقد جمع شعره بأخرة الدكتور رشدي علي حسن من تلك المصادر المختلفة في بحث موسوم بـــــ"شعر المرَّار بن منقذ"، منشور في مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية عام ١٩٨٩م، وقد اجتمع له من شعره أربع قصائد ونتفٌ من أبيات، وأبيات مفردة ليست بالكثيرة.

أمَّا القصائد المجموعة له فهي الرائية التي نحن بصدد الحديث عن بيت منها وهي أطولها، ثم النونية التي يعاتب فيها زوجته ويفتخر بنخله وكلتاهما في المفضّليات[١٤]، ثم الميمية التي في حماسة أبي تمام[١٥]، ثم السينية المذكورة في (التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه) للبكري[١٦]، وعلى قلة قصائده هذه فإن فيها ذِكْرًا غير قليلٍ لوادي أُشَيّ موطنه في نجد ، ففي الميمية يقول[١٧]:

وحبَّـذا حـين تمسي الـريحُ بـاردةً وادي أُشيٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ

ويقول في النّونية يصف نخلاته في وادي أُشَيّ[١٨]:

تُطَـاوِلُ مَخْرِمَـيْ صُـدَدَيْ أُشَيٍّ بَوَائِـكَ مـا يُبَـالينَ السِّـنينا

كما أنّ جريرًا في القصيدة التي هجا بها المرَّار بن منقذ نسبه إلى وادي أُشَيّ، وذلك في قوله[١٩]:

تقلِّبُ يـا مـرَّارُ عينيـكَ سـادرًا وكبشةُ وسطَ الشـاربينَ زَفُـونُ

بـوادي أُشيّ الخبـثِ يـا آلَ مُنقـذٍ معـاذرُ فيهـا سرقـةٌ ومجـونُ

من هنا يتَّضح أنّ موطن المرّار بن منقذ في نجد هو وادي أُشَيّ، ولهذا الوادي ذكر غير قليل في معاجم البلدان القديمة والحديثة، وكثيرًا ما يقترن فيها وفي غيرها من المصادر الأخرى اسم أُشَيّ الوادي باسم الشاعر المرّار بن منقذ، والعكس كذلك؛ لأن قصائده الموجودة في تلك المصادر لا تخلو من اسم بلدته هذه. فمن المعاجم القديمة التي ذكر فيها (معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع) لأبي عبيد البكري، قال أبو عبيد: "أُشيّ بضم أوّله، وفتح ثانيه، وتشديد الياء أخت الواو، على لفظ التصغير: وادٍ أو جبل في بلاد بني العدويّة من بني تميم. قال الرياشيّ: وأوطانهم ببطن الرّمة. وقال عمارة بن عقيل: أشيّ وادي البراجم. وقال عمر بن شبّة: أُشيّ: بلد قريب من اليمامة"[٢٠]، وجاء في (معجم البلدان) لياقوت الحموي قوله: "أُشَيّ: بالضم ثم الفتح، والياء المشددة؛ قال أبو عبيد السكوني: من أراد اليمامة من النباج سار إلى القريتين ثم خرج منها إلى أُشيّ، وهو لعدي الرباب؛ وقيل: هو للأحمال من بلعدوية، وقال غيره: أشيّ: موضع بالوشم، والوشم: وادٍ باليمامة فيه نخل، وهو تصغير الأشاء، وهو صغار النخل الواحدة أشاءة"[٢١]، وقد أوضحت الوهم في هذا القول فيما سبق من هذا البحث، ثم ذكر بيت

(١٣) محمد بن ناصر العبودي، *معجم بلاد القصيم*،٦ أجزاء(الرياض: دار الثلوثية للنشر والتوزيع٢٠١٦)،٢:٦٠٥.

(١٤) المفضل محمد بن يعلى الضبي، *المفضليات*، تح. أحمد شاكر وعبد السلام هارون،الطبعة السابعة،(القاهرة: دار المعارف د.ت.)،٧٢.

(١٥) الطائي، *الحماسة*،٢:٢٧٦..

(١٦)أبوعبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، *التنبيه على أوهام أبي علي أماليه*،تح. دار الكتب والوثائق القوميةالطبعة الثانية،(القاهرة: دار الكتب المصرية٢٠٠٠)، ٧١.

(١٧) الطائي، *الحماسة*،٢:٢٧٦..

(١٨) الضبي، *المفضليات*،٧٢.

(١٩) محمد بن حبيب، *ديوان جرير*، تح. نعمان محمد أمين طه، الطبعة الثالثة،(القاهرة:دار المعارف،د.ت.)٢:٥٦١.

(٢٠) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري، *معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، الطبعة الثالثة،٤ أجزاء،(بيروت: عالم الكتب،١٩٨٣)،١:١٦٠.

(٢١)ياقوت بن عبد الله الحموي، *معجم البلدان*، الطبعة الثانية، ٧ أجزاء،(بيروت: دار صادر١٩٩٥)، ١:٢٠٣.

المرّار في الميمية المذكور سلفًا في الصفحات السابقة من هذا البحث، كما أورد بيتًا لعَبْدَة بن الطَبِيْب يذكر فيه أُشيًّا وهو قوله[٢٢]:

والحــيُّ يــومَ أُشيٍّ؛ إِذْ ألمّ بهــم يومٌ من الـدّهرِ إنّ الـدّهرَ مـرّارُ

أما المعاجم الجغرافية الحديثة التي تتحدث عن نجد ومدنه وقراه وأوديته وجباله فلوادي أُشيّ فيها ذكر وافر، وهي أكثر دقة في تحديدها لهذا الموقع من المعاجم القديمة؛ لأن مؤلفيها من أهل تلك المنطقة، ومنها على سبيل المثال ما جاء عند البليهد في (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار)، و(المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية) لحمد الجاسر، فقد جاء فيه: "أُشَيّ بضم الهمزة وفتح الشين وآخره ياء تحتية مشّددة، وقد تُبدل الهمزة واوًا (وشي) من أقدم قرى سُدير، من إمارة منطقة الرياض"[٢٣]، وكذلك عند ابن خميس في (معجم اليمامة).

بيتُ المَرَّار بن مُنْقذ في المصادر والمراجع:

اتضح ممّا سبق أن موطن الشاعر المرّار بن منقذ هو "وادي أُشَي" في نجد، وقد استوقفني بيتٌ له من رائيته المطوّلة المشهورة التي أوردها المفضّل الضبي في المفضّليات، وعدد أبياتها خمسة وتسعون بيتًا على بحر الرمل ورويّ الرّاء، وقد كان مطلعها[٢٤]:

عَجَبٌ خَولةُ إذْ تُنْكِرُني أَمْ رأتْ خَولةُ شيخًا قَدْ كَبِرْ

والبيت هو الثالث والخمسون من القصيدة وهو قوله:

هَلْ عرفتَ الدَّارَ أَمْ أَنْكَرْتَهَا بينَ تِبْراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ

هذا البيت الذي كَثُر وروده في المعاجم اللغوية، والمعاجم الجغرافية، وشروح الشعر، ورد فيها شاهدًا على موضعين تضمّنهما هما "تبراك وعَبْقَر"، فهل هذان الموضعان في قصيدة المَرَّار بن منقذ الرائية، قد رويا رواية صحيحة تتَّسِق مع موطنه "وادي أُشَيّ" وما حوله من المواضع الواردة في القصيدة نفسها، أم قد طالها التصحيف أو التحريف أو الخطأ في الرواية أم غير ذلك؟

رواية البيت في معاجم اللغة:

ورد بيت المَرَّار بن مُنقذ هذا في أكثر معاجم اللغة العربية، ولعلها أول المصادر التي أوردته؛ وذلك عند حديثهم عن "تبراك وعَبْقَر"، فقد ذكر ابن دريد بيت المَرَّار في جمهرة اللغة ثلاث مرات، مرة اكتفى بشطره الثاني ولم ينسبه، وذلك عند حديثه عن كلمة عَبْقَر، فقال: "وعَبْقَر: اسم أَرض من أَرَاضِي الْجِنّ، زَعَمُوا. قَال الشَّاعِر: وَكَأَنَّهُم فِي البيض جِنَّةُ عَبْقَرِ. قَال أَبو بكر: ومن شأْنهمْ إِذا استحسنوا شيئًا أَو عجبوا من شدّته ومضائه نسبوه إِلَى عبقر، فَقَالُوا: ثياب عبقريّة، وهو الْفرش المرقوم لمّا أَن أعجبهم حسنُه نسبوه إِلَى عبقر. وَفِي الحَدِيث: فَلم أر عبقرياً يَفري فَرِيَّه، قَال أَبو بكر: كَذَا جاء في الحديث بتَشْديد الْيَاء وَإِن كَانَ الفَرْيُ الْمصدر بتَخْفِيف الْيَاء. وَقَالُوا: ظلمٌ عبقريّ، إِذا كان شَدِيدًا فَاحِشًا. قَال رجلٌ من أهل الرِّدَّة:

إِنَّا أَتَانَا خبرٌ بُجْرِيُّ
ظُلْمٌ لَعَمْرُ الله عَبْقَرِيُّ
قَالَتْ قريشٌ كَلُّنا نبيُّ

وَفِي التَّنْزِيل: وعبقريٍّ حِسانٍ، خوطبوا بِمَا عرفُوا. وَمن قَرَأَ عَباقريّ فقد أَخطَأَ؛ لِأَن الْجمع لَا ينُسب إِلَيْهِ إِذا كان على هَذَا الْوَزْن، لَا يَقُولُونَ: مَهالبيّ وَلَا مَسامعيّ وَلَا جَعافريّ. قَالَ الشَّاعِر:

(٢٢) يحيى الجبوري، *ديوان عبدة بن الطبيب*، (دار التربية للنشر والتوزيع،١٩٧١)، ٤٠.

(٢٣) حمد بن محمد الجاسر، *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية*، جزآن، (الرياض:دار اليمامة،١٩٧٧)، ١:١٨٨.

(٢٤) الضبي، *المفضليات*، ٨٢.

بَين تِبْراكٍ فشَسَّيْ عَبَقُرْ

أَرَادَ عَبْقَر فَلم يُمكنهُ الشّعْر فغيّر الْبناء"[٢٥]. وفي المرّتين الأخريين ذكر البيت كاملًا منسوبًا، عند حديثه عن تبراك فقال: "وتبراك: مَوضِع بِكَسْر التَّاء لِأَنَّهُ اسْم لَيْسَ بمصدر. قَالَ مَزَّار:

أعرفتَ الدَّارَ أم أنكرتَها بَين تبراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ"[٢٦]

وقال عند حديثه عن معنى الشّس: "الشس وهو المُكَان الغليظ. قَال الشَّاعر – المَزَّار –:

هَل عرفتَ الدَّار أم أنكرتَها بَين تبراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ

وهذا من قَوْلهم: شئس المُكَان وشئز إِذا غلظ فخففوا الْهمزَة وَبِه سُمي شأس"[٢٧]. وجاء في تهذيب اللغة للأزهري قوله : "عَبْقَر: مَوضِع بالبادية كثير الجنّ، يُقَال فِي الْمثل: كَأَنَّهُمْ جنّ عَبْقَر. وقال المَزَّار العَدَويّ:

أعرفتَ الدَّار أم أنكرتها بَين تِبراكٍ فشَسَّيْ عَبَقُرّ

قَال: كَأَنَّهُ توهم تثقيل الرَّاء. ذَلك أَنه احْتَاج إِلَى تَحْرِيك الْبَاء لإِقَامَة الْوَزْن، فَلَو ترك الْقَاف على حالها مَفْتُوحَة لتحوَّل الْبناء إِلَى لفظ لم يَجِئ مثله وهو عَبَقَر، وَلم يَجِئ على بنائِهِ مَمْدُود وَلَا مثقّل. فلمَّا ضم الْقَاف توهّم بِهِ بِنَاء قَرَبوس وَنَحْوه. والشاعر يجوز لَهُ أَن يقصُر قربوس فِي اضطرار الشّعْر فَيَقُول: قربُس. وَأحسن مَا يكون هَذَا الْبناء إِذا ذهب حرف المدّ مِنْهُ أَن يثقّل آخِره؛ لِأَن التثقيل كالمدّ"[٢٨].

كما ذكر الأزهري البيت أيضًا عند حديثه عن معنى الشّس بمثل ماورد عند ابن دريد في جمهرة اللغة[٢٩]، وفي الصحاح للجوهري قال: "وأمّا قول مَزَّار بن مُنقِذ:

أعرفتَ الدَّارَ أمْ أنكرتَها بينَ تِبْراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ

فإنه لما احتاج إلى تحريك الباء لإقامة الوزن وتوهم تشديد الراء ضم القاف لئلا يخرج إلى بناء لم يجئ مثله"[٣٠]، كما أورد هذا البيت الجوهري في مادة (برك)[٣١]، وقال ابن سيدة في المُحْكَم: "وعَبْقَر: مَوضِع كثير الجِنّ، فَأَما قَوْله:

هَل عرفتَ الدَّارَ أم أنكرتَها بَين تبراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ

فَإِن أبا عُثْمَان ذهب إِلَى أنه أَراد عَبْقَرَ فَغير الصِّيغَة ويُقَال: أَراد عُبَيْقِر فَحذف الْيَاء، وَهُوَ وَاسع جدًا. وعبقر قَرْيَة بِالْيمن توشّى فِيهَا الثِّيَاب؛ فثيابها أجود الثِّيَاب فَصَارَت مثلًا لكل مَنْسُوب إِلَى شَيْء رفيع، فَكلما بالغوا فِي نعت شَيْء متناه نسبوه إِلَيْهِ. وَقيل: إِنَّمَا ينْسب إِلَى عبقر الَّذِي هُوَ مَوضِع الْجِنّ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: مَا وجدنَا أحدًا يدْرِي أَيْن هَذِه الْبِلَاد وَلَا مَتى"[٣٢].

وفي العُباب الزاخر قال الصاغاني: "قال المَزّار بن مُنقِذ:

هل عَرَفْتَ الدارَ أَمْ أنكَرْتَها بينَ تِبْرَاكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ

وقال أبو عمر في فائت الجَمْهَرَة: الرواية: "فَشُسَّى"، ومِيْزَانُه جُلّى. والأُولى رِوايَةُ الْمُفَضَّل بن مُحَمَّد الضَّبِّي"[٣٣]. وفي

(٢٥) أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، *جمهرة اللغة*،تح. رمزي منير البعلبكي، الطبعة الأولى، ٣أجزاء، (بيروت: دار العلم للملايين،١٩٨٧)٢:١١٢٢.

(٢٦) ابن دريد، *جمهرة اللغة*،١:٢٥.

(٢٧) ابن دريد، *جمهرة اللغة*، ١:١٣٣.

(٢٨)أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، *تهذيب اللغة*،تح. عبد السلام محمد هاورن،١٥جزءًا،(القاهرة:الدار المصرية للتأليف والترجمة،١٩٦٤)،٣:١٨٧.

(٢٩) الأزهري، *تهذيب اللغة*،٣:١٨٨.

(٣٠) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح. أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة، ٦ أجزاء،(بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٧)،٢:٣٥.

(٣١) الجوهري، *الصحاح*،٤:٥٧٥.

(٣٢)أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده، *المحكم والمحيط الأعظم*، تح.عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى،١١جزءًا،(بيروت: دار الكتب العلمية،٢٠٠٠)، ٢:٤١٠.

(٣٣)رضي الدين الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، *العباب الزاخر واللباب الفاخر*،تح.فير محمد حسن المخدومي، وتركي سهو العتيبي،الطبعةالأولى،١٥جزءًا،(الرياض:مركز البحوث والتواصل المعرفي٢٠٢٢)،١:١٢٧.

لسان العرب: "عَبْقَر: مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ كَثِيرُ الْجِنِّ. يُقَالُ فِي الْمَثَلِ: كأَنهم جِنُّ عَبْقَر؛ فأَما قَوْلُ مَرَّار بْنِ مُنْقِذٍ العَدَوي:

هَلْ عَرَفْتَ الدارَ أَم أَنكرتَهَا بَيْنَ تِبْرَاكٍ فَشَمَّيْ عَبَقُرْ

وَفِي الصِّحَاحِ: فَشَسَّيْ عَبَقُرْ، فإِن أَبا عُثْمَانَ ذَهَبَ إِلى أَنه أَراد عَبْقَر فَغَيَّرَ الصِّيغَةَ؛ وَيُقَالُ: أَراد عُبَيْقُر فَحَذَفَ الْيَاءَ، وَهُوَ وَاسِعٌ جِدًّا"[٣٤]، ثم نقل ابن منظور كلامَ الأَزهري السابق، وكذلك نقل تعليل الْجَوْهَرِيِّ له: "إِنه لَمَّا احتاج إِلى تَحْرِيكِ الْبَاءِ لإِقامة الْوزْن وتَوَهَّمَ تَشْدِيدَ الرَّاءِ ضَمَّ الْقَاف لِئَلَّا يَخْرج إِلى بِنَاءٍ لَمْ يَجِئْ مِثْلُهُ فأَلحقه ببناءٍ جَاءَ فِي الْمَثَل، وَهُوَ قَوْلهمْ هُوَ أَبْردُ مِنْ عَبَقُرٍّ، وَيُقَالُ: حَبَقُرٌّ كأَنهما كَلِمَتَانِ جُعِلَتا وَاحِدَةً لأَن أَبا عَمْرِو بْنَ الْعَلَاءِ يَرْوِيهِ أَبرد مِنْ عَبٍّ قُرٍّ؛ قَالَ: والعَبُّ اسْمٌ للبَرَد الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ الْمُزْن، وَهُوَ حَبُّ الغَمام، فَالْعَيْنُ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْحَاءِ"[٣٥]. وورد في لسان العرب في موضع آخر ما شابه هذا التّغيُّر في صيغة كلمة أخرى هي (الصِّنَّبْر) في بيت طرفة:

بجِفانٍ نَعْتَرِي نادِيَنَا وسَدِيفٍ حينَ هاجَ الصِّنَّبْرُ

"وَقَالَ غَيْرُهُ: يُقَالُ صِنِّبْر، بِكَسْرِ النُّونِ. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: وأَما ابْنُ جِنِّيٍّ فَقَالَ: أَراد الصِّنَّبر فَاحتاج إِلى تَحْرِيكِ الْبَاءِ، قَال: وَهَذَا أَقرب مأْخذاً مِنْ أَن يَقُولَ إِنه حرَّف الْقَافِيَةَ لِلضَّرُورَةِ كما حرَّفها الْآخَرُ فِي قَوْلِهِ:

هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ، أَوْ أَنْكَرْتَهَا بَيْنَ تِبْرَاكٍ وشَسَّيْ عَبَقُرْ

فِي قَوْلِ مَنْ قَالَ عَبْقَر فَحَرَّفَ الْكَلِمَةَ"[٣٦].

مما سبق يظهر أن بيت المَرَّار بن مُنقذ تداوله أصحاب المعاجم اللغوية، عند حديثهم عن كلماتٍ ثلاثٍ وردن فيه هُنَّ (تبراك وشسّ وعَبَقُرّ)، وأكثر هذه الكلمات استئثارًا بحديثهم هي كلمة (عَبَقُرّ) التي وردت في البيت بضبط يختلف عن ضبط الكلمة المشهورة (عَبْقَر)، ويكاد يُجمع أصحاب المعاجم على أن المَرَّار بن منقذ لجأ إلى هذا الضبط لضرورة الشعر. فابن دريد في جمهرة اللغة يقول: "أراد عَبْقَرَ فلم يمكّنه الشعر فغيَّر البناء"[٣٧]، أي من صيغة إلى صيغة أخرى اضطرارًا.

كما علّل ذلك الأزهري في تهذيب اللغة بضرورة الشعر في قوله:" كَأَنَّهُ توهم تثقيل الرَّاء. ذَلِك أَنه احتاج إِلَى تَحْرِيك الْبَاء لإِقَامَة الْوَزْن، فَلَو ترك الْقَاف على حالها مَفْتُوحَة لتحوَّل الْبناء إِلَى لفظ لم يَجِئ مثله وهو عَبَقَر، وَلم يَجِئ على بنائِهِ مَمْدُود وَلَا مثقّل. فلمَّا ضم الْقَاف توهّم بِهِ بِنَاء قَرَبوس وَنَحْوه. والشاعر يجوز لَهُ أَن يقصُر قربوس فِي اضطرار الشّعْر فَيَقُول: قربُس. وَأحسن مَا يكون هَذَا الْبناء إِذا ذهب حرف المدّ مِنْهُ أَن يثقّل آخِره؛ لِأَن التثقيل كالمدّ"[٣٨]، ويظهر من قول الأزهري أنّ عَبَقُرّ في بيت المَرَّار جاءت قياسًا على قَرَبُسّ المقصورة من قَرَبُوس، وذلك للضرورة الشعرية. ونقل هذا التعليل نفسه الجوهري في صحاحه، كما سلف في هذا البحث.

أما ابن سيدة في المحكم فأورد قول أبي عثمان في البيت وهو أن الشاعر "أراد عَبْقَرَ فغيّر الصيغة، أو أراد عُبَيقر فحذف الياء، وهو واسع جدًا"[٣٩]، وأبو عثمان يعلّل لفتح الباء في عَبَقُرّ في بيت الشاعر فجاء بالتصغير إذ الباء فيه مفتوحة. وقد نقل ابن منظور هذه التعليلات في اللسان غير أنه نصَّ على أن الشاعر حرّف القافية للضرورة الشعرية، كما أن ابن منظور أورد الكلمة الثانية في البيت وهي (فشسيّ) بصيغة أخرى جاءت هكذا (فَشَمَّيْ)[٤٠]، ولم يفسِّر معنى هذه الكلمة! وقبل النظر في هذه التأويلات لبيت المَرَّار في معاجم اللغة، سأورد البيت في معاجم البلدانيين، وعند شُرَّاح الشعر كذلك، حتى نستوفي القول من جميع جوانبه.

---

(٣٤) محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب*، تح. اليازجي، الطبعة الثالثة، ١٥ جزءًا، (بيروت: دار صادر ١٩٩٣)، ٤: ٥٣٤.

(٣٥) ابن منظور، *لسان العرب*، ٤: ٥٣٥.

(٣٦) ابن منظور، *لسان العرب*، ٤: ٤١٧.

(٣٧) ابن دريد، *جمهرة اللغة*، ٢: ١١٢٢.

(٣٨) الأزهري، *تهذيب اللغة*، ٣: ١٨٧

(٣٩) ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*، ٢: ٤١٠

(٤٠) ابن منظور، *لسان العرب*، ٤: ٥٣٤.

رواية البيت في معاجم البلدان:

ورد بيت المزّار بن مُنقذ في أشهر معجمين من معاجم البلدان هما (معجم ما استعجم) لأبي عبيد البكري، و(معجم البلدان) لياقوت الحموي، فقال أبو عبيد في معجمه: "فأمّا قول المزّار:

هل عرفتَ الدارَ أم أنكرتَها بين تبراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرّ

ففيه قولان: أحدهما أنّه أراد عَبْقَرًا هذا المذكور، فنقل وضمّ القاف، على توهّم بناء قَرَبُوس، إذ للشاعر أن يقصُر هذا البناء، فيقول فيه: قَرَبُسٌ، ولو ترك القاف مفتوحة لتحوّل إلى بناء لا يوجد في كلام العرب. والقول الثاني: أن تبراك وعَبَقُرّ محلّتان، ولم يُرِد عَبْقَرَ المتقدّم ذكره. وأصلُ عَبَقُرّ على هذا عَبَنْقَر، ونظيره عَرَتُنّ، وأصله عَرَنْتَن"[٤١]، وقال ياقوت في معجم البلدان: "عَبْقَرُ: بفتح أوله، وسكون ثانيه، وفتح القاف أيضا، وراء، وهو البَرَدُ، بالتحريك، للماءِ الجامد الذي ينزل من السحاب، قالوا: وهي أرض كان يسكنها الجن، يقال في المثل: كأنهم جِنُّ عبقر، وقال المزّار العَدَويّ:

أعرفتَ الدَّارَ أمْ أنكرتَها بينَ تبراكٍ فَشَسَّي عَبَقُرّ

الشسّ: المكان الغليظ، قال: كأنه توهم تثقيل الراء وذلك أنه احتاج إلى تحريك الباء لإقامة الوزن فلو ترك القاف على حالها لتحوّل البناء إلى لفظ لم يَجِئ مثله وهو عبقرّ، لم يَجِئ على بنائه ممدود ولا مثقّل، فلما ضم القاف توهّم به بناء قربوس ونحوه، والشاعر له أن يقصر قربوس في اضطرار الشعر فيقول قربس، وأحسن ما يكون هذا البناء إذا ذهب حرف المدّ منه أن يثقّل آخره؛ لأن التثقيل كالمدّ"[٤٢].

ويتضح من قوليهما أنهما يعلّلان تغيّر صيغة الكلمة في بيت المزّار بمثل ما علّله أصحاب معاجم اللغة، غير أن أبا عبيد البكري فصّل تعليله في المسألة ذاكرًا فيها قولين، الأول منهما هو ما جاء في المعاجم اللغوية؛ أمَّا القول الثاني فيقول فيه: إن تبراك وعَبَقُرّ محلتان معروفتان؛ وقوله هو ما قاله الأنباري شارح المفضليات، وهو قول فيه نظر كما سيأتي في هذا البحث عند الحديث عن البيت عند شراح الشعر.

أما قوله: وأصل عَبَقُّر عَبَنْقَر، ونظيره عَرَتُنّ، وأصله عَرَنْتَن، فتكلّفٌ ظاهر. وما ذهب إليه في قوله عند "تبراك" فصحيحٌ ؛ لأن تبراك موضع معروف مستفيضٌ ذكره في أشعار العرب، وثمة أكثر من موضع يحمل هذا الاسم كما سيتضح في هذا البحث.

رواية البيت في شروح الشعر:

جاء بيت المزّار بن مُنقذ العَدَويّ ضمن قصيدته الرائية في المفضّليات، وهي المفضّلية السادسة عشرة في اختيار المفضّل الضّبي، وله أيضًا المفضلية الرابعة عشرة في الاختيار نفسه، وقد حظيت هذه المفضليات بشروح عدد من الأدباء واللغويين ودراساتهم في القديم والحديث، وقد نال رائية المزّار نصيبٌ من تلك الشروح والدراسات، فمن أشهر من تناول هذه القصيدة بالشرح ضمن المفضليات قديمًا أبو محمد القاسم بن محمد بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨ هـ)، وأبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت ٤٢١ ه) والخطيب التبريزي (ت ٥٠٢ ه)، وأبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (ت ٥١٨ ه)،وهذا الشرح الأخير غير موجود فيما أعلم.

أما الدراسات التي تناولت هذه الرائية حديثًا فمنها دراسة كمال أبو ديب (١٩٨٦م) ضمن كتابه (الرؤى المقنّعة)، ودراسة رشدي علي حسن (١٩٨٩م) الموسومة بـــــ "شعر المرار بن منقذ العدوي" وهي جمعٌ لشعره وتخريج له في المصادر والمراجع، ودراسة نوال بنت محمد الصيخان (٢٠٢٢م) الموسومة بـــــ "مستويات التشظي والالتئام في قصيدة المرار العدوي عجبٌ خولة"، ودراسة غادة جميل

(٤١) البكري،*معجم ما استعجم*،٣:٩٧١.

(٤٢) الحموي، *معجم البلدان*،٤:٧٩.

قرني محمد يوسف (٢٠٢٢م) الموسومة بـــ "مقاومة الزمن في رائية المرار بن منقذ".

فهذا البيت -محل الدراسة- الذي يحتوي الشطر الثاني منه على موضعين أو ثلاثة مواضع، في تلك الشروح والدراسات قال عنه الأنباري في شرحه له: " كل غليظ شسّ وتبراك وعَبَقُرّ موضعان معروفان"[٤٣]، ومثل قوله هذا قال المرزوقي والتبريزي في شرحهما، وأعاده البكري في معجمه، وهو قول غريب، وفيه نظر -كما أشرت فيما سلف من هذا البحث-[٤٤]؛ لأنَّ عَبَقُرّ بهذه الصيغة؛ ليس محلة معروفة، ولم يعضد الأنباري قوله هذا بدليل، كما لم يذكر أين تقع هذه المحلّة، وفي أي البلدان هي، وإن اُلتمس العذر للأنباري، أن ليس من شأنه بيان أماكن المواضع في شرحه للشعر، فلا عذر للبكري بعده الذي أورد هذا القول في معجمه بلا إيضاح، وهو معني بذكر المواضع وتحديد أماكنها! ولم يَنسب الأنباري هذا القول إلى أحد، ولم أجد قبله من قال بقوله هذا من علماء اللغة وشراح الشعر والبلدانيين، كما أنّ رواية الكلمة بهذه الصيغة في بيت المرّار هي الرواية الوحيدة الواردة في الشعر العربي، ولم تَرد -في حدود ما اطلعتُ عليه من مصادر- في شعر آخر.

أمَّا أصحاب الدراسات الحديثة فلم يتطرّقوا إلى هذه المواضع في البيت بشيء سوى أن رشدي علي حسن أشار إلى اختلاف ضبط كلمة عَبْقَر في معجم البلدان؛ إذ جاءت بفتح العين وسكون الباء وفتح القاف، في لسان العرب والتاج ضُبط بفتحتين وضم القاف فراءٌ.[٤٥] وذكرت غادة جميل قرني أنهما موضعان معروفان[٤٦]، في حين قال بعض محققي التراث في العصر الحديث مثلما قال أصحاب معاجم اللغة ومعاجم البلدان؛ يقول محققا المفضليات أحمد شاكر وعبد السلام هارون تعليقًا على البيت: "تبراك وعبقر موضعان. والشّس: الغليظ من كل شيء، والظاهر أنّه أراد بهما مكانين غليظين في عبقر، و"عَبَقُرّ" بفتحتين فضمة فراءٍ مشددة، كما ضبط في الشرح، وضبطه ياقوت بسكون الباء وفتح القاف وتخفيف الراء، وزعم أن الشاعر غيّره للوزن"[٤٧].

من كل ما سبق يظهر أن شُرَّاح الشعر ودارسيه الذين ألموا برائية المرَّار بن منقذ العدوي فسَّروا المواضع التي في بيته الشعري: "هل عرفت الدار ... البيت". بمثل ما فسّره أصحاب المعاجم اللغوية، وكذلك علّله -بما سبق- النحويون والصرفيّون كابن جني في الخصائص، وابن عصفور في ضرائر الشعر[٤٨]، وبقي أن ننظر في البيت بعدما استقرأنا تأويلات العلماء له في تلك المصادر؛ لتستبين الرواية التي أرجّح أنها الصواب تجاه ما ذكر عن البيت من تلك التأويلات.

التّحقق من المواضع في بيت المرَّار بن مُنْقِذ:

(٤٣) أبومحمد القاسم بن محمد الأنباري، *ديوان المفضليات مع شرح الأنباري*،تح. كارلوس يعقوب لايل،(بيروت:مطبعة الآباء اليسوعيين١٩٣٠)،١٥٣.

(٤٤) الخطيب التبريزي، *شرح اختيارات المفضل*،تح. فخر الدين قباوة،الطبعة الثانية، ٤ أجزاء،(بيروت: دار الكتب العلمية١٩٨٧)،١:٤٠٠.

(٤٥) حسن، "*جمع شعر المرار*"، مجلة جامعة تشرين، ١١ عدد. ١-٢ (١٩٨٩):٣٩.

(٤٦) يوسف، "*مقاومة الزمن في رائية المرار*" مجلة كلية الآداب بقنا عدد.٥٧،(٢٠٢٢) :٤٢٣.

(٤٧) الضبي، *المفضليات*،٨٨. والتبريزي، *شرح اختيار المفضل*، ٤٢٥.

(٤٨)أبو الفتح عثمان ابن جني، *الخصائص*، تح. محمد علي النجار، الطبعة الرابعة،(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ت.)،٢:٢٨٢، وعلي بن مؤمن بن محمد الإشبيلي ابن عصفور ، *ضرائر الشِّعْر*، تح. السيد إبراهيم محمد، الطبعة الأولى،(القاهرة: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع،١٩٨٠)، ٢٤١.

تتركز أهمية هذا البيت في الشطر الثاني منه، وهو قوله: "بين تبراكٍ فَشَسّيْ عَبَقُرٌ"؛ فالمواضع الواردة في هذا الشطر من البيت هما موضعا تبراك وعَبْقَر.

أما تبراك فلم يكن فيه إشكال عند البلدانيين القدامى والمحدثين، أو علماء اللغة أو شُرَّاح الشعر؛ لا في اسمه ولا في تحديد مكانه، ولم يقفوا عنده طويلًا؛ فهو الموضع المشهور من المواضع المعروفة في اليمامة في الجزء الجنوبي الغربي منها، وله حضور في الشعر القديم ومازال محتفظًا باسمه إلى هذا العهد، وتشاركه في الاسم أيضًا مواضع أخرى[٤٩] منها تبراك الذي يعنيه المزّار بن مُنقذ في بيته؛ إذ تبراك المشهور هو الذي في بلاد بني نمير، وهذا تبراك آخر ذكره ياقوت في بلاد بني العنبر، وهو على هذا القول أقرب ما يكون إلى أُشَيّ بلدة الشاعر، وتبراك هذا الأخير لم يعد معروفًا اليوم في تلك الناحية.

يقول أبو عبيد البكري في (معجم ما استعجم): "تبراك: بكسر أوّله، وبالراء المهملة والكاف: موضع في ديار بني فقعس؛ قال المزّار:

أعرفتَ الدَّارَ أَمْ أَنكرتَها بينَ تِبْرَاكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرٌ؟

وكلّ ما جاء على تِفْعال فهو مفتوح التاء، إلّا أحرفًا جاءت عددًا تحلّ محلّ الأسماء؛ من ذلك تبراك هذا؛ وتعشار، وتلقاء، وتبيان؛ وهما صفتان، وتمثال، وتهواء من الليل، وتقصار، وهي القلادة، ورجل تمساح، وهو الكذّاب؛ وقال ابن مُقبل:

فقالَ أَرَاهَا بينَ تِبْرَاكَ مُوْهِنًا وَطِلْحَامَ إِذْ عِلْمُ البِلادِ هَدَانِي"[٥٠]

ويقول ياقوت الحموي: "تِبْرَاكُ: الكسر ثم السكون، وراء، وألف، وكاف: موضع بحذاء تعشار، وقيل: ماء لبني العنبر، وفي كتاب الخالع: تبراك من بلاد عمرو ابن كلاب فيه روضة ذكرت مع الرياض، وحكى أبو عبيدة عن عمارة أن تبراك من بلاد بني نمير قال: وهي مسبّة لا يكاد أحد منهم يذكرها لمطلق قول جرير:

إِذَا جَلَسَتْ نِسَاءُ بني نُمَيْرٍ على تِبْرَاكَ خَبَّثْنَ التُّرَابَا

فإذا قيل لأحدهم: أين تنزل؟ يقول: على ماء، ولا يقول على تبراك، قال: وتبراك أيضا ماء في بلاد بني العنبر، قال أبو جعفر: جاءت عن العرب أربعة أسماء مكسورة الأول: تقصار للقلادة اللازقة بالحلق، وتعشار موضع لبني ضبّة، وتبراك ماء لبني العنبر، وطلحام موضع، حكى أبو نصر: رجل تمساح ورجل تنبال وتبيان، وقال أبو زياد: مياه الماشية تبراك التي ذكرها جرير، وقد ذكرت الماشية في موضعها من هذا الكتاب، قال ابن مقبل:

جزى اللهُ كَعْبًا، بالأباترِ، نِعمةً وحيًّا بهبّودٍ، جزى اللهُ، أَسْعَدَا
وحيًّا على تبراكَ لم أرَ مثلَهُم رجًا، قُطِّعَتْ مِنهُ الحبائلُ، مُفْرَدَا

وقال نصر: تبراك ماء لبني نمير في أدنى المرّوت لاصق بالوركة، وينشد:

أعرفتَ الدَّارَ أَمْ أنكرتَها بينَ تبراكٍ فشسّي عَبَقُرٌ؟"[٥١]

ويقول ابن خميس في (معجم اليمامة): "تبراك لا يزال يحمل اسمه حتى الآن منهل في حضن نفود (الغُزيز) -كما يسميه البعض أو نفود (قُنيفذة) -كما يسميه البعض الآخر- الذي هو رملة الوركة قديمًا ... هذا المنهل يمره طريق (ضرما) (القويعية) يرده البادية صيفًا وتدفنه الرمال شتاء فيعاد نكشه، وهو قريب المجذب وآباره كثيرة ومتوسط قُطّانه صيفًا حوالي خمسة وثلاثين نسمة حسب إحصاء (١٣٨٣هـ) وهو تابع إداريًّا للقويعية"[٥٢]. إذن تبراك موضع معروف في اليمامة، وهذا الذي يقصده ابن خميس هو الواقع في الجهة الجنوبية منها وهي بلاد بني نمير؛ وليس تبراك الآخر الذي يقع في بلاد بني العنبر، مع أنه ليس من الغريب أن يرد تبراك

(٤٩) فضل عمار العماري، *موسوعة مواطن القبائل وطرق القوافل في الجزيرة العربية*، ١٣ جزءًا، (دار التوبة، ٢٠١٥)، ١١: ١٦٥.

(٥٠) البكري، *معجم ما استعجم*، ١: ٣٠١.

(٥١) الحموي، *معجم البلدان*، ٢: ١٢.

(٥٢) عبد الله بن محمد بن خميس، *معجم اليمامة* (الرياض: مطابع الفرزدق التجارية، ١٩٨٠)، ١: ١٩٨.

هذا الذي في بلاد بني نمير في شعر المرَّاربن منقذ أو شعر غيره من شعراء اليمامة، فهو لا يبعد بعدًا ظاهرًا عن موطن المرَّار (وادي أُشي).

أما الموضع الثاني الذي ورد في البيت فهو (عَبَقُرّ) وهذا الموضع هو الذي كثر الحديث عنه عند علماء اللغة والبلدانيين. وقد أضيفت إلى هذا الموقع كلمة (شُسّيْ)، وهذه الكلمة جاءت في تلك المصادر بثلاث صيغ، الصيغة الأولى هي (فشُسَّيْ) مثنى الشَّس، وهذه الصيغة هي أكثر ما روي البيت بها في معاجم اللغة، وقالوا في تفسير الشّس إنه الأرض الصلبة التي كأنها حجر واحد، أو الغليظ من كل شيء، ثم يستشهدون ببيت المرَّار[٥٣]، على أن ياقوتًا ذكر في معجمه أن الشس وادٍ بعينه من أودية مزينة موبأة مهيمة فيه نقوع تردها الإبل فيأخذها الهيام، وذكر فيه شعرًا لكُثيِّر منه قوله:

كأنّكَ مَرْدُوعٌ بشسٍّ مُطرّدٌ يُقَارِفُهُ من عُقدةِ النّقعِ هِيْمُهَا

وماء في ديار بني سليم[٥٤]. أما الصيغة الثانية فهي (شُسّى) على ميزان جُلّى، أوردها الصاغاني في العباب الزاخر[٥٥]، والصيغة الثالثة (فَشَمَّي) بالميم المشدّدة، أوردها ابن منظور في لسان العرب، ولم يذكر تعليلًا لهذه الصيغة[٥٦]. فنحن إذن أمام ثلاث روايات تختلف فيها صِيَغ هذه الكلمة عند أصحاب المعاجم اللغوية، ويظهر أن هذه الكلمة هي تحريف لكلمة (أُشَيّ) بلدة المرَّار بن منقذ التي دأبَ على ذكرها في أشعاره، ولا يسأم من تكرارها في أكثر شعره، فقد ذكرها في الميمية الشهيرة، والنونية المفضليّة -كما سبق في هذا البحث- وها هو يذكرها في الرائية أيضًا فيما أعتقد أنه الرواية الصحيحة للبيت.

أما الموضع الثاني في بيت المرَّار فهو (عَبْقَر) وهي الكلمة التي أطال الوقوف عندها علماء اللغة والبلدانيون وشرّاح الشعر-كما ذكرت سلفًا- وقد وردت بصيغة تخالف الصيغة المعروفة لكلمة (عَبْقَر)؛ فجاءت بضبط آخر هو (عَبَقُرّ) ما جعل أولئك العلماء يذهبون في تأويله مذاهب شتى، فمنهم من قال: أراد عَبْقَرَ، فاضطرّ إلى تحريفها لإقامة الوزن، ومنهم من قال: أراد عُبَيْقُرًا، وآخر يرى أنه أراد عَبَقُورًا، ومن قائل يرى أنه أراد عَبَنْقَر؛ غير أن هؤلاء العلماء يكادون يتفقون على أن الشاعر حرّف الكلمة لضرورة الشعر.

فقال ابن دريد في جمهرة اللغة: "أَرَادَ عَبْقَر فَلم يُمكنهُ الشّعْر فغيّر الْبناء"[٥٧]، وقال الأزهري في تهذيب اللغة: "ذَلِك أَنه احْتَاج إِلَى تَحْرِيك الْبَاء لإِقَامَة الْوَزْن"[٥٨]، وقال ابن سيدة في المحكم: "فَإِن أبا عُثْمَان ذهب إِلَى أنه أَرَادَ عبقر فَغير الصِّيغَة، وَيُقَال: أَرَادَ عُبيقر فَحذف الْيَاء، وَهُوَ وَاسع جدًا"[٥٩]، وقال ابن منظور في اللسان: "إنه حرَّف الْقَافِيَةَ لِلضَّرُورَةِ"[٦٠]، ومثل هذه التعليلات قال بها أصحاب معاجم البلدان كذلك؛ والذي أذهب إليه أن الشاعر لم يحرّف كلمة (عَبْقَر) للضرورة الشعرية، ولم يأتِ بها أصلًا؛ ولم يقلْ عَبَقُرًّا ولم يرد عُبَيْقرًا ولا عَبَقورًا ولا عَبَنْقرَ ولا عَبَاقر، ولا العَبَوقَرة، ولا عَبَّ قُرٍ ،كما تأوّل بعض علماء اللغة وغيرهم؛ وإنما الكلمة التي أرادها الشاعر -فيما أرجّح- هي (بَقَر). وما عَبَقُرٌ إلا تحريفٌ لهذه الكلمة؛ مثل ما حُرّفت كلمة (أُشَيّ) في البيت نفسه إلى شُسّيْ ومرة إلى شُسَّى وأخرى إلى شَمَّي، حرّفت كذلك بَقَرَ إلى عَبَقُرّ؛ وعليه ستكون رواية بيت المرَّار على هذا النحو:

هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ أَمْ أنكرتَها بَيْنَ تِبْراكِ أُشَيٍّ فَبَقَرْ

(٥٣)ابن دريد،*جمهرة اللغة*، ٢:١١٢٣.

(٥٤) الحموي، *معجم البلدان*، ٢:٣٤٢.

(٥٥) الصاغاني، *العباب الزاخر*، مادة (شسس).

(٥٦) ابن منظور، *لسان العرب*، مادة (عبقر).

(٥٧)ابن دريد،*جمهرة اللغة*، ٢:١١٢٢.

(٥٨)الأزهري، *تهذيب اللغة*، ٣:١٨٧.

(٥٩)ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*، ٢: ٤١٠.

(٦٠)ابن منظور، *لسان العرب*، ٣:٣٥٤.

وتبراك هذا الذي أضافه المَرَّارُ إلى أُشَيّ هو تبراك الذي قال عنه ياقوت: إنه ماء في بلاد بني العنبر، وهو غير تبراك المشهور في بلاد بني نمير؛ أمّا بَقَر هذا فهو موضع باقٍ باسمه من العهد الجاهلي إلى اليوم، وهو قريب من أُشَيّ بلدِ الشاعر المَرَّار بن منقذ، وله ذكر في الشعر العربي القديم، وأمثلُ من تكلّم عنه من البلدانيين المحدثين العبودي في (معجم بلاد القصيم)، إذ حدّد موقعه، وذكر ما ورد عنه في الشعر القديم.

يقول العبودي: "بَقَرْ: على لفظ البقر جمع بقرة التي تحلب من دون دخول "أل" عليه، روضة وقاع واسع يقع إلى الجنوب من الشماسية في الجنوب الشرقي من بلاد القصيم إلى الشرق من مدينة عنيزة على بعد حوالي ٣٠ كيلًا عنها، وينطقون باسمها بصيغة الجمع لبقرة الدابة المعروفة، وقد أصبح الآن مزروعة (كذا) فيها النخل والأشجار إلى جانب زراعة القمح والشعير وغيرهما، وتسميتها قديمة، ونورد هنا بيتين ورد فيها اسم "ذي بَقَرٍ" الظاهر أنه هو "بقر" هذا. قال جميل:

لَوْ ذُقْتَ ما أَبْقَى أَخاكَ بِرَامةٍ لَعملتَ أَنَّكَ لا تَلُومُ مُلِيمَا
وَغَدَاةَ " ذِي بقرٍ" أُسِرُّ صَبَابَةً وَغَدَاةَ جَاوَزْنَ الرِّكَابُ أَرُومَا

ويحملنا على أن نقول باحتمال أن يكون هو المراد، كونه ذكر موضعًا معروفًا في القصيم لم يتغير اسمه هو "رامة" وهي كبقر كلاهما في جنوب القصيم وإن اختلف موقعهما من جهة الذهاب إلى الشرق أو الغرب. وقال النابغة الجعدي يصف سحابًا:

فَأَصْبَحَ بالقِمْرَى يَجُرُّ عَفَاءَهُ بهيمًا كَلَونِ اللَّيلِ أَسودَ دَاجِيَا
فَلَمَّا دَنَا لِلخَرْجِ خَرجِ عُنيزةٍ وَذِيْ بَقَرٍ أَلْقَى بِهِنَّ الرَّوَاسَيَا

فلعله يريد بعنيزة عنيزة القصيم، وبذي بقر هذا الذي نتكلم عليه، قال البكري: "ذو بَقَر": قرية في ديار بني أسد. وقال أبو حاتم عن الأصمعي: هو قاع يقري الماء. وهذا ينطبق على "بقر" هذا؛ لأنه مكان يجتمع فيه السيل ولا يخرج منه، إذ يصب فيه وادٍ يُسمَّى "شعيب بقر". فتمنعه الرمال من الخروج فيبقى مدة طويلة، والقِمْرَى الواردة في شعر النابغة الجعدي هو القاع المسمى الآن "قاع الخرما"، الواقع إلى الغرب الجنوبي من مدينة عنيزة، وهذا ما يحملنا على أن المراد بذي بقر "بقرًا" هذا الذي نتكلم عليه وقد ورد في ذكر سحاب مثل هذا في شعر سحيم عبد بني الحسحاس، والمعروف أن بني الحسحاس هم من بني أسد، ومنازلهم في غرب القصيم، وشماله الغربي، وهذا يقوي أنه يريد بذي بقر "بقرًا" هذا الذي نحن بصدد الكلام عليه. قال سحيم:

أَحارِ تَرَى البَرْقَ لَمْ يَغْتَمِضْ يُضِئُ كِفَافًا ويجْلُو كِفَافَا
وَحَطَّ بِذِيْ بَقَرٍ بَرْكَهُ كَأَنَّ عَلى عَضُدَيْهِ كِتَافَا"[٦١]

كما ذكر العبودي أن ثمَّة موضعًا آخر يُدعى بذي بقر، ويسمى اليوم "بِقَرِيَّة" يقع في حمى الربذة[٦٢]؛ وأغلب الظن أنه ليس المقصود في الشواهد الشعرية هذه، بل الموضع الذي نعتقد أنه المقصود في الأشعار المذكورة؛ وبخاصة بيت المَرَّار بن منقذ، وهو "بَقَر" الذي يقع في الجزء الجنوبي الشرقي من بلاد القصيم؛ نظرًا لأنه من أقرب المواقع التي تلي أُشَيًّا بلد المَرَّار، من بلدان القصيم، وقد ذكر المَرَّار في رائيته أُشَيًّا وسمنان ولُغَاطًا والأميلح، وهي مواطن معروفة في نجد ومازالت باقية بأسمائها إلى اليوم مع بعض التحريف الطفيف في موضعي لغاط والأميلح، إذ أصبحا اليوم الغاط ومُلَيْحًا جنوب الزلفي، وثمّة وادٍ كبير يطلق عليه اليوم "شعيب بقر" يقع بين بلدتي الزلفي والأرطاوية، وقد ذكره من البلدانيين المعاصرين ابن بليهد[٦٣] وابن خميس، فيقول عنه الأخير: "بقر بفتح الباء والقاف على وزن جمع بقرة ... وادٍ كبير ينحدر من سطح جبل مجزَّل مما يلي نفود الضويحي شرق روضة السَّبلة، وينحدر مشرِّقًا حتى يصب في جانب رمال الدهناء مما يلي الأمغر بروضة تدعى غُيانة وهو من أطول أودية مجزَّل ويبعد

(٦١) العبودي، *معجم بلاد القصيم*، ٢:٦٠٦.
(٦٢) العبودي، *معجم بلاد القصيم*، ٢:٦٠٩.
(٦٣) ابن بليهد، *صحيح الأخبار*، ٢:٥٢.

عن الأرطاوية خمسة وخمسين كيلًا شمالًا"[٦٤]، ويرى ابن خميس أن القحيف العقيلي عناه بقوله:

فيا عجبًا مني ومن طارقِ الكَرى إذا منع العينَ الرقادُ وسهَّدا
ومن عبرةٍ جاءتْ شآبيب إن بدا بذي بقرٍ آياتُ رَبْعٍ تأبَّدا

ولا أظنه أيضًا المعنيّ في بيت المرار؛ لأنّ بقرًا الواقع في بلاد القصيم اليوم هو من أقرب مواضع القصيم التي تلي لُغاطًا والأميلح وسمنان وأُشيًا، كما أن المواطن التي وردت في شعر المَرَّار -في رائيته وغيرها- لا تبعد كثيرًا عن محيط بلدته "أُشي" ففي الرائية يقول[٦٥]:

ظلّ في أعلى يفاعٍ جاذلاً يَقْسِمُ الأَمْرَ كَقَسْمِ المُؤْتَمِرِ
أَلسَمْنَانَ فيسْقِيَهَا بِهِ أَمْ لِقُلْبٍ من لُغَاطٍ يَسْتَمِرْ

كما أورد "تبراك وأُشيًا وبقرًا" مُصوِّرًا ما اعترى تلك المواطن من آثار الرياح والأمطار والسيل في البيت محل الدراسة والأبيات التي تليه وهذه هي الرواية التي أرجّح صحتها، يقول:

هل عرفتَ الدارَ أمْ أنكرتَها بينَ تِبْـــرَاكٍ أُشَيٍّ فَبَقَرْ
جَـرْرَّ السَّـيْلُ بهـا عُثْنُونَهُ وَتَعَفَّتْهَا مَدَالِيْـجُ بُكُرْ
يَتَقَارَضْنَ بِهَا حتى اسْتَوَتْ أَشْهُرُ الصَّيفِ بِسَافٍ مُنْفَجِرْ
وَتَرَى مَنْها رُسُومًا قَدْ عَفَتْ مِثْلَ خَطِّ اللَّامِ في وَحْيِ الزُّبُرْ

ويقول في الميمية الشهيرة[٦٦]:

وحَبَّذا حينَ تُمسي الرّيحُ باردةً وادي أُشَيٍّ وفُتيانٌ بِهِ هُضُمُ
متى أَمُرُّ على الشّقراءِ مُعْتَسِفًا خَلَّ النَّقا بمرُوحٍ لحْمُهَا زِيَمُ
الوشمُ قد خرجتْ منه وقابلَها من الثنايا التي لم أقلْها تَرَمُ
يا ليتَ شعريَ عن جنبي مُكَشَّحةٍ وحيثُ تُبنى من الحناءةِ الأُطُمُ
عن الأشاءةِ هل زالتْ مخارمُها وهل تغيّرَ من آرامِها إِرَمُ
بل ليتَ شعريَ متى أغدو تعارِضُني جرداءُ سابحةٌ أو سابحٌ قُدُمُ
نحو الأُميلحِ من سمنانَ مُبتكرًا بفتيةٍ فيهم المَرَّارُ والحَكَمُ

ويقول في السّينية[٦٧]:

فكأنَّ أَرحُلَنا بوادٍ مُعشِبٍ بلوَى عُنَيْزَةَ من مُغِيضِ الثُّرْمُسِ

فهذه المواضع الواردة في شعره "تبراك وشقراء والوشم وخل النَّقا والثنايا وأشي ولُغاط والأميلح وسمنان وبقر وعنيزة" هي مواضع ما زالت موجودة في نجد محتفظة بأسمائها القديمة إلى اليوم، ولا يبعد بعضها عن بعض بعدًا ظاهرًا، ومن المؤكد أن المَرَّار بن منقذ يرتادها في ذهابه ومجيئه، وهي المواضع التي هزَّه إليها الشوق والحنين إذ نأت به الدّار إلى صنعاء.

ومما يدعوني إلى استبعاد أن تكون الكلمة في بيت المَرَّار "عَبَقُرْ" التي رأى بعض اللغويين وغيرهم من البلدانيين وشرَّاح الشعر أن الشاعر غيَّرها لضرورة الشعر، هو أن كلمة "عَبْقَر" بصيغتها المشهورة مختلف في حقيقتها، بل هي إلى الأساطير والخرافات أقرب منها إلى الواقع، فأكثر من ذكرها من العلماء يقرنونها بـــ "زعموا" في كلامهم، وحديثهم عنها مضطرب اضطرابًا واضحًا، ولعلي أذكر أشهر ما قيل عن هذه الكلمة في المصادر المختلفة؛ ليتّضح ما ذهبت إليه في رواية بيت المَرَّار.

ولا ضير أن أعيد هنا -مختصرًا- بعض ما جاء في معاجم اللغة عن عَبْقَرَ وأنَّها من أراضي الجن، ففي كتاب العين: "عبقر: موضع بالبادية كثير الجن، يقال كأنهم جن عبقر"[٦٨]، وقال ابن دريد في جمهرة اللغة: "عبقر اسم أرض من أراضي الجن زعموا"[٦٩]، وقال الأزهري: "عَبْقَر: مَوضِع بالبادية كثير الجنّ، ... وَقد قَالُوا: عباقر مَاء لبني فَزَارَة.

وَأنْشد لِابْنِ عَنَمة:

(٦٤) ابن خميس، *معجم اليمامة*، ١:١٠٧.

(٦٥) الضبي، *المفضليات*، ٨٩.

(٦٦) أبو تمام، *ديوان الحماسة*، ٢٧٤.

(٦٧) البكري، *التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه*، ١:٧٠.

(٦٨) الخليل بن أحمد الفراهيدي، *كتاب العين*، تح. مهدي المخزومي، و إبراهيم السامرائي، ٨ أجزاء، (القاهرة: دار ومكتبة الهلال، د.ت.) ٢:٨٧.

(٦٩) ابن دريد، *جمهرة اللغة*، ٢:١١٢٢.

أَهِلِي بِنَجْدٍ ورحلي فِي بُيُوتِكُمُ على عَبَاقِرَ مِنْ غَوْرِيَّة الْعَلَمِ"[٧٠]

وقال ابن سيدة في المحكم: "وعبقر: مَوضِع كثير الْجِنّ ... وعبقر قَرْيَة بِالْيمن توشّى فِيهَا الثِّيَاب. فثيابها أجود الثِّيَاب فَصَارَت مثلًا لكل مَنْسُوب إِلَى شَيْء رفيع، فَكلما بالغوا فِي نعت شَيْء متناهٍ نسبوه إِلَيْهِ. وَقيل: إِنَّمَا ينْسب إِلَى عبقر الَّذِي هُوَ مَوضِع الْجِنّ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَة: مَا وجدنَا أحدًا يدْرِي أَيْن هَذِه الْبِلَاد وَلَا مَتى. والعَبَوقَرة: اسْم مَوضِع، وَقَالَ الهجري هُوَ جبل فِي طَرِيق الْمَدِينَة من السيالة قبل مَلَلٍ بميلين، قَالَ كُثَيِّر عزَّة:

أَهَاجَكَ بالعَبَوقرةِ الدِّيارُ نَعَم مِنّا منازُلها قِفَارُ"[٧١]

وفي معجم البلدان قال ياقوت بعد أن ذكر بيت امرئ القيس:

كأنّ صليلَ المروِ حينَ تُطِيرُهُ صَليلُ زِيوفٍ يُنتَقدْنَ بعَبْقَرَا

قال: "عبقر: قالوا في فسره: عبقر من أرض اليمن فهذا كما تراه يدل على أنه موضع مسكون وبلد مشهور به صيارف، وإذا كان فيه صيارف كان أحرى أن يكون فيه غير ذلك من الناس، ولعلّ هذا بلد كان قديمًا وخرب، كان ينسب إليه الوشي فلما لم يعرفوه نسبوه إلى الجنّ، والله أعلم، وقال النسّابون: تزوّج أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد ابن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان هند بنت مالك بن غافق بن الشاهد بن عكّ فولدت له أفتل وهو خثعم، ثم توفيت فتزوّج بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة فولدت له سعدًا ولقّب بعبقر فسمّته باسم جده وهو سعد العشيرة، ولقّب بعبقر لأنه ولد على جبل يقال له عبقر في موضع بالجزيرة كان يصنع به الوشي، قال: وعبقر أيضًا موضع بنواحي اليمامة"[٧٢]، وقال عنه الهمداني في صفة جزيرة العرب: "موضع ينسب إليه كثرة الجن ولا يكاد يعرف"[٧٣].

فالاضطراب في هذه الأقوال ظاهر، وهي أشهر ما تناقله الرواة عن عَبْقَر؛ فهو تارة أرض بالبادية يكثر فيها الجن، وتارة أخرى قرية باليمن تُوشّى فيها الثياب، وبها صيارف، أو هو جبل يُقالُ له عَبْقَر في موضع بالجزيرة، بل يقول ياقوت: لعلَّ هذا بلد كان قديمًا وخرب، ثم يقول أبو عبيد: مَا وجدنَا أحدًا يدْرِي أَيْن هَذِه الْبِلَاد وَلَا مَتى، ومثله يقول الهمداني: لا يكاد يُعرَف. ولعلَّ أطرف ما ورد في تفسير عبقر من هذه الأقوال -وهو ما أَمِيلُ إلى أنَّه أقربها إلى الصواب- هو قول القائل: أنها كلمة تطلقها العرب للمبالغة في صفة أيّ شيءٍ يعجبهم حسنُه، أو قُوَّتُه أو أيّ أمرٍ فائقٍ منه، وما يدعوني إلى القول بأن هذا هو الأقرب إلى الصواب هو أن الجنَّ عالمٌ غيبي لا يرى هو فكيف بدياره ومواطنه! ومن غير المستبعد -كما يذهب ياقوت- أنها بلدة قديمة كانت في غابر الأزمان تُوشّى فيها البسط والثياب وبعض الفرش، ثم اندثرت، ولا يعلم مكانها على وجه الحقيقة، فأصبحوا يضربون المثل بجودة إنتاجها، وقد خاطبهم القرآن الكريم بما يفهمون في قوله تعالى: ﴿ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ﴾[٧٤]، ومثله ما رُوي عن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، في وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: "أُرِيتُ فِي المَنامِ أَنِّي أَنْزِعُ بدَلْوِ بَكْرَةٍ علَى قَلِيبٍ، فَجاءَ أبو بَكْرٍ فَنَزَعَ ذَنُوبًا، أوْ ذَنُوبَيْنِ نَزْعًا ضَعِيفًا، واللَّهُ يَغْفِرُ له، ثُمَّ جاءَ عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ فاسْتَحالَتْ غَرْبًا، فَلَمْ أرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ حتَّى رَوِيَ النَّاسُ، وضَرَبُوا بعَطَنٍ"[٧٥]؛ مع أن بعضًا من المفسرين[٧٦] يذهبون إلى

(٧٠) الأزهري، *تهذيب اللغة*، ٣:١٨٧.

(٧١)ابن سيدة، *المحكم والمحيط الأعظم*،٢:٤١١.

(٧٢) الحموي، *معجم البلدان*،٢:٧٩ .

(٧٣)أبو محمد الحسن بن أحمد الهمداني، *صفة جزيرة العرب*(ليدن: طبعة: مطبعة بريل ١٨٨٤)،٢٢٣.

(٧٤) سورة الرحمن، *الآية* ٧٦.

(٧٥) أخرجه *البخاري* (٣٦٨٢)، و*مسلم* (٢٣٩٣).

أنها الطنافس الثِّخان، أو الزَّرابي، واحدتها عَبْقَرِيَّة؛ أما العبقرية فيظهر أنها من الكلمات المستحدثة على حد قول الشيخ علي الطنطاوي في أحد كتبه: "وعلى الألسنة اليوم كلمات كثيرة استُحدثت أعرف أول من أطلقها؛ منها "عبقرية" من وضع الشيخ عبد القادر المغربي ... "[٧٧]؛ وأظنه يريد التي يُراد بها النبوغ والذكاء والفطنة الفائقة والله أعلم.

والذي يمس موضوع هذا البحث من تلك الأقوال قولان؛ الأول منهما هو قول ياقوت الحموي: إن عَبْقَرَ موضع بنواحي اليمامة. وهذا قول لم أجد أحدًا من العلماء ذكره غيره، ولا يُعرَف في اليمامة -حسب ما أُطلعت عليه- موضع بهذا الاسم. والقول الثاني قول الأزهري: عباقر ماء لبني فزارة، وقد جاء في شعر لعبد الله بن عَنَمَة، يقول فيه:

أهلي بنجدٍ ورحلي في بيوتِكمُ على عباقرَ من غَوريّةِ العَلَمِ

وقول الأزهري : عباقر ماء لبني فزارة، كما أورده أيضًا ياقوت في معجمه بشاهده الشعري نفسه[٧٨]؛ فإن لمعنى البيت احتمالين: الأول: أن يكون عباقر هذا في غير نجد؛ فالشاعر يذكر أن أهله بنجد ورحله في بيوت هؤلاء القوم الذين يخاطبهم وهم على عباقر هذا ولا يُعلم أين هو، ويكون معنى بيته: أهلي بنجدٍ على غَوريَّة العَلَم، ورحلي في بيوتكم على عباقر.

والاحتمال الآخر هو أن يكون عباقر هذا موضعًا في نجد وهو ما نص عليه الأزهري وياقوت، كما أن وجود العَلَم - وهو عَلَمٌ على جبلين معروفين من جبال نجد[٧٩]- يرجّح وجود هذا الماء في نجد، فهل يكون المَرَّار بن منقذ أراده، واضطُرَّ إلى حذف الألف ثم ضم القاف وشدّد الراء، حتى يصبح عَبَقُرّ؟! وهذا احتمال بعيد جدًا، ويرجِّح عدم صحته أيضًا أن عباقر تُروى عباقل كما يقول ياقوت[٨٠]، كما أن الجبلين العَلَمين كليهما بعيد عن موطن المَرَّار بن منقذ، كما أن اقترانه بكلمة"شسيّ" التي هي محرّفة عن" أشي" قرينة قوية تعضد دفع هذا الاحتمال.

فإذا كان عَبْقَر بصيغته المشهورة لا تعلم له حقيقة، ولم يقطع أحد من العلماء بوجوده، فإن وروده في بيت المَرَّار غير متسق مع معناه، فحين يقول الشاعر: "بين تبراكٍ فشسّي عَبَقُرّ"، ويقول العلماء في تفسيره: الشسّ الأرض الصلبة، ثم يضيفونها إلى عَبْقَر، وعبقر نفسُه غيرُ معروف، فمن باب أولى ألا تعرف أرضه أصلبة هي أم سهلة، ولا معنى لأن يقرن الـمَرَّار تبراك الموضع الذي يعرفه بمكان لا تُعلم له حقيقة؛ وعليه يمكن القول بأنّ الرواية الصحيحة لبيت المرّار بن منقذ -كما أسلفت- هي:

هل عرفتَ الدّارَ أمْ أنكرتَها بينَ تبراكِ أُشَيٍّ فَبَقَرْ

وأن الرواية الخطأ هي: "بين تبراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرْ"، وذلك للاعتبارات الآتية:

- أنّ وجود المواضع الواردة في شعر المَرَّار وفي رائيته بخاصة، مثل لُغاط وسمنان وتبراك وأُشَيّ وبَقَر هي مواضع موجودة معروفة متقاربة في أماكنها من تلك النواحي، وما زالت محتفظة بأسمائها إلى اليوم.

- أن الاحتمال القائل بأنّ عَبَقُرْ بهذه الصيغة قد يكون موضعًا اندثر مثلما اندثر غيره من المواضع احتمال ضعيف؛ لأن هذه الصيغة ليس لها رواية أخرى في أشعار العرب أو أخبارها -فيما نعلم- تعضد رواية بيت المرّار هذا، فضلًا عن أن عَبْقَر بصيغته المشهورة لا تُعرف له حقيقة.

- أن احتمال الخطأ في رواية الشعر العربي القديم من الرواة كثير مستفيض في الشعر، ولا تخفى دراسات النقاد

(٧٦)محمد بن جرير الطبري، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*،تح. عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى، ٢٦ جزءًا،(القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع ٢٠٠١)،٢٤:٣٨.

(٧٧)علي الطنطاوي، *فصول في الثقافة والأدب*(جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع،٢٠٠٧)،٤٤.

(٧٨) الحموي، *معجم البلدان*،٤:٧٦.

(٧٩) ابن بليهد، *صحيح الأخبار*، ٤:٢٣٨.

(٨٠) الحموي، *معجم البلدان*،٢:٧٧.

القديمة والحديثة فيه، فبعض الرواة يسمع الكلمة ثم ينساها ويروي كلمة مكانها، أو تشتبه عليهم بعض الكلمات وعلى سبيل المثال كلمة: "عبَّ قُرٍ" التي رواها أبو عمرو بن العلاء، فيظنونها كلمة واحدة، وهي من كلمتين عبَّ قُرٍ: وقد فسّر العب بالبَرَد أي: حَبُّ الغمام، والقُرّ بالبَرْد برد الشتاء؛ فنقول إن كل هذه القرائن مجتمعة ترجّح صحة ما ذهبت إليه في رواية بيت المرَّار بن منقذ العدوي.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول بيت المرّار بن مُنْقِذ في مصادر مختلفة لغوية وأدبية وجغرافية بالاستقراء والتحليل، وهو الشاعر العَدَويّ التميمي صاحب بلدة "أُشَيّ" في نجد الذي عاش في القرن الهجري الأول، وتوفي على التقريب سنة ١٠٠ هـ، وكان معاصرًا لجرير وهاج بينهما الهجاء، ورويت له قصائد جياد في المفضّليات وحماسة أبي تمام وبعض مصادر اللغة والأدب نخلص إلى النتائج الآتية:

– بيت المرَّار بن منقذ من رائيته المفضّلية المشهورة القائل فيه:

هل عرفتَ الدَّارَ أم أنكرتَها بين تبراكٍ فَشَسَّيْ عَبَقُرّ

قد روي خطأ، فحرِّفت فيه كلمتان هما "أُشَيّ" و" بَقَر" إلى "شَسِّيْ" و"عَبَقُرّ"، وإن روايته التي يرجّح البحث أنها الرواية الصحيحة للقرائن والدلالات الواضحة التي ذُكرتْ –فيما سبق– هي قوله:

هل عرفتَ الدَّارَ أَمْ أَنْكرْتَها بينَ تِبرَاكٍ أُشَيٍّ فَبَقَرْ

وقد يكون منشأ هذا الخطأ التصحيف أو التحريف أو الخطأ في الرواية، ولا تخفى أخطاء الرواة؛ وبخاصة في الشعر، حتى قيل وما آفة الأشعار إلا رواتها، كما أن العلماء الذين تناولوا هذا البيت من اللغويين والبلدانيين وشراح الشعر وبعض المحققين قديمًا وحديثًا ولم يتنبَّهوا إلى ما فيه من الخطأ؛ أنهم ليسوا ممن سكن تلك المواضع، أو عرفها عن كثب، فمن غير المستغرب أن يخطئوا فيها؛ أما البلدانيون من أهل تلك النواحي؛ وبخاصة في العصر الحديث مثل ابن بليهد والجاسر وابن خميس وغيرهم، فلعله لم يتفق لهم الاطلاع على ذلك البيت الشعري في رائية المرَّار بن منقذ، غير أن للشيخ حمد الجاسر تعليقًا على كلام نصر السابق في الهامش (٣) الصفحة (٦٥٤) من كتاب (الأماكن) للحازمي، الذي نشره لكنه لم يشر إلى شيء عن هذا الموضوع.

– عَبْقَر بصيغتها المشهورة كلمة مختلف فيها عند اللغويين والبلدانيين والمفسرين، وأحسن ما قيل في تفسيرها أنها كلمة تطلقها العرب على ما بالغوا في صفته في الحسن أو القوة أو أي شيء آخر يعجبهم فيه.

– أن في نجد موضعين أو أكثر تسمَّى بتبراك، أحدها مشهور معروف باقٍ باسمه إلى اليوم، ويقع في الجهة الجنوبية من اليمامة من نجد على يمين السالك بالسيارة من الرياض إلى مكة المكرمة، وهو الواقع في بلاد بني نمير قديمًا، وقد عناه جرير ببيته الشهير –المذكور في هذا البحث– في بائيته التي هجا بها الراعي النميري، والأخريات غير مشهورة، ومنها ما ذكره ياقوت الحموي في بلاد بني العنبر، وهو الذي أرجّح أنّه المذكور في شعر المرَّار بن منقذ؛ لكنه لم يعد معروفًا اليوم في تلك النواحي؛ ولعله من الموارد التي اندثرتْ فيما اندثر.

– الرواية التي وردتْ بها كلمة "عَبَقُرّ" في بيت المرَّار رواية يتيمة لم أجد –فيما أُطلعت عليه– من أشعار العرب أو أخبارها أو أمثالها ما يعضدها؛ وهذا ما يعزّز الحجة بأن الكلمتين "شسَّي وعَبَقُرّ" في البيت محرّفتان عن "أُشَيّ وبَقَر"؛ الأماكن المعروفة بأسمائها في تلك النواحي من نجد إلى اليوم.

هذا ولا يفوتني أن أوصي الباحثين المهتمين بمثل هذه الموضوعات بإعادة قراءة أبيات الشعر العربي؛ وبخاصة القديم منه، والوقوف عندها وتحري الدقة فيما يمكن أن تدل عليه، وعدم اتخاذ القراءات السابقة على أنها حقائق مُسلّم بها، ولا سيما في شرح الشعر.

المصادر والمراجع

الأزهري، أبو منصورمحمد بن أحمد، *تهذيب اللغة*،تح. عبد السلام هارون.١٥جزءًا، القاهرة:الدار المصرية للتأليف والترجمة،١٩٦٤.

الأصفهاني، أبوالفرج علي بن الحسين،*كتاب الأغاني*،تح. إحسان عباس، وإبراهيم السعافين، وبكر عباس، الطبعة الثالثة، ٢٥ جزءًا،بيروت:دار صادر٢٠٠٨.

الأنباري، أبو محمد القاسم بن محمد، *ديوان المفضليات مع شرح الأنباري*،تح. كارلوس يعقوب لايل،بيروت:مطبعة الآباء اليسوعيين١٩٣٠.

البغدادي، عبد القادر بن عمر، *خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب*، تح.عبد السلام محمد هارون، الطبعة الرابعة،١١جزءًا، القاهرة: مكتبة الخانجي،١٩٩٧.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز، *التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه*،تح.دارالكتب والوثائق القوميةالطبعةالثانية،القاهرة:دارالكتب المصرية٢٠٠٠.

البكري، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز،*معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع*، الطبعة الثالثة، ٤ أجزاء، بيروت: عالم الكتب، ١٩٨٣.

ابن بليهد، محمد بن عبد الله، *صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار*، الطبعة الثالثة، الرياض: دار عبد العزيز آل حسين ١٩٩٧.

التبريزي، أبو زكريا الخطيب يحيى بن علي، *شرح اختيارات المفضل*،تح. فخر الدين قباوة، الطبعة الثانية،بيروت: دار الكتب العلمية،١٩٨٧.

التبريزي، أبو زكريا الخطيب يحيى بن علي،*شرح ديوان الحماسة* ، تح. غريد الشيخ، جزآن،بيروت: دار الكتب العلمية٢٠٠٠.

الجاسر، حمد بن محمد، *المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية*، الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، .د. ت.

الجبوري، يحيى، *ديوان عبدة بن الطبيب*، دار التربية للنشر والتوزيع ١٩٧١.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، *الخصائص*، تح. محمد علي النجار، الطبعة الرابعة،القاهرة:الهيئة المصرية العامة للكتاب د.ت.

الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، *الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية*، تح. أحمد عبد الغفور عطار، الطبعة الرابعة،٦ أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧.

ابن حبيب، محمد، *ديوان جرير*، تح. نعمان محمد أمين طه، الطبعة الثالثة، القاهرة: دار المعارف د.ت.

حسن، رشدي، " *شعر المزّار بن منقذ العدوي*" مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية،١١، عدد.١-٢، (١٩٨٩):٢٩-٥١.

الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، *معجم البلدان*، الطبعة الثانية، بيروت: دار صادر ١٩٩٥.

ابن خميس،عبد الله بن محمد، *معجم اليمامة*، الطبعة الثانية،الرياض:مطابع الفرزدق التجارية، عام١٩٧٩.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، *جمهرة اللغة*، تح. رمزي منير بعلبكي، الطبعة الأولى،٣ أجزاء، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٨٧.

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، *الشعر والشعراء*، القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٢.

الزركلي، خير الدين، *الأعلام*، الطبعة الثانية عشرة، بيروت: دار العلم للملايين١٩٩٧.

ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل، *المحكم والمحيط الأعظم*، تح.عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١١جزءًا،بيروت: دار الكتب العلمية٢٠٠٠.

الصاغاني،رضي الدين الحسن بن محمد، *العباب الزاخروواللباب الفاخر*،تح.فيرمحمدحسن المخدومي،وتركي بن سهوالعتيبي،الطبعةالأولى،١٥جزءً، الرياض:مركز البحوث والتواصل المعرفي٢٠٢٢.

الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى ، *المفضليات*، تح. أحمد محمد شاكر، وعبد السلام محمد هارون، الطبعة السادسة، القاهرة: دار المعارف،د.ت.

الطائي، أبو تمام حبيب بن أوس، *الحماسة*، تح. عبد الله عسيلان، الطبعة الأولى،الرياض:جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،١٩٨١.

الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، *جامع البيان عن تأويل آي القرآن*، تح.عبد الله بن عبد المحسن التركي، وعبد السند حسن يمامة، الطبعة الأولى،٢٦ جزءًا، القاهرة: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان،٢٠٠١.

الطنطاوي، علي، *فصول في الثقافة والأدب*، الطبعة الأولى، جدة: دار المنارة للنشر والتوزيع٢٠٠٧.

العبودي، محمد بن ناصر، *معجم بلاد القصيم*، الرياض: دار الثلوثية للنشر والتوزيع٢٠١٦.

ابن عصفور، علي بن مؤمن بن محمد، ، *ضرائر الشِّعْر*، تح.السيد إبراهيم محمد، الطبعة الأولى، القاهرة: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع١٩٨٠.

العماري، فضل بن عمار، *موسوعة مواطن القبائل وطرق القوافل*،مكتبة التوبة ٢٠١٥.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد، *كتاب العين*،تح. مهدي المخزومي،و إبراهيم السامرائي،٨ أجزاء،القاهرة: دار ومكتبة الهلال،د.ت.

محمد يوسف، غادة جميل قرني "*مقاومة الزمن في رائية المرار بن منقذ العدوي*" مجلة كلية الآداب بقنا، جامعة جنوب الوادي، عدد.٥٧،(٢٠٢٢):٣٩٩-٤٣٨.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن، *شرح ديوان الحماسة*، تح. أحمد أمين وعبد السلام هارون، الطبعة الثانية،القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨.

ابن منظور، محمد بن مكرم، *لسان العرب*، تح.اليازجي، الطبعة الثالثة، ١٥جزءًا، بيروت: دار صادر١٩٩٣.

الهمداني، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب ، *صفة جزيرة العرب*، طبعة: مطبعة بريل – ليدن، ١٨٨٤.